الرحلات الدينية الروسية الى بلاد الشام (١٥٣٣- ١٨٢٩م)

م.د. رائد محمد لزم

أ.د.مشعل مفرح ظاهر

جامعة البصرة – كلية الآداب

الملخص

يسلط هذا البحث الضوء على الرحلات الدينية الروسية إلى بلاد الشام (١٥٣٣-١٨٢٩م)، فقد شكلت تلك الرحلات العامل الأساسي في تقوية صلات الروس بالشرق، فمنذ دخول الروس الديانة المسيحية الأرثوذكسية شجع قادة روسيا القيصرية على الرحلات الدينية، وكانت بلاد الشام عامة وفلسطين خاصة واحداً من أبرز الأماكن التي قصدها الحجاج الروس، كما صورت تلك الرحلات طبيعة العلاقة في مختلف المجلات الدينية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والتاريخية، والجغرافية، والأدبية، والاجتماعية .

The Russian Religious Journeys to the Levant (1533-1829)

By Ra'id Mohammed Lezim

Prof. Mish'al Mifrih Dhahir

University of Basrah - College of Arts

Abstract

This research highlights Russian religious journeys to the Levant (1533-1829). These journeys constituted the main factor in strengthening the Russian ties in the east. Since the Russians entered Orthodox Christianity, Tsarist Russia leaders have encouraged religious journeys, and the Levant in general and Palestine in particular have been one of the most prominent places for Russian pilgrims. These journeys also depicted the nature of the relationship in various religious, economic, political, cultural, historical, geographical and literary fields.

المقدمة

تعدّ الرحلات وكتابات الرحالة بصورة عامة مصدراً مهماً من مصادر التاريخ؛ لما لهذا النوع من التوثيق من قدرة على سد الكثير من الثغرات، ومع تعدد الدراسات التي تناولت الرحلات ألّا أنّها أهملت جوانب مهمة وأساسية من تلك الرحلات، يأتي في مقدمتها الرحلات الدينية الروسية إلى بلاد الشام، ومن هنا اكتسبَ الموضوع أهميته فتم تقسيم الدراسة التي اعتمدت على مصادر اصيلة للبحث في مقدمتها كتابات ومؤلفات الرحالة، ومصادر أجنبية وعربية، وتضمنت اولاً: تمهيد تاريخي والثاني: الرحلات الدينية الروسية بين عامي (١٥٣٣-١٧٦١م) والثالث: الرحلات الدينية الروسية حتى عام ١٨٢٩م .

اولاً- التمهيد :

كانت عقيدة الروس Russian [١]، قائمة على الوثنية وتصديق الخرافات، وعرف الأمير فلاديمير الأول Vladimir I(٩٨٠- ١٠١٥م) [٢]، بتعصبه للديانة الوثنية، لذا تأخر الروس في الدخول للديانة المسيحية مقارنة مع معظم دول أوربا الذين سبقوهم في اعتناق هذه الديانة [٣]، وهناك من يذكر أنّ المسيحية دخلت إلى بلاد الروس منذ القرن التاسع للميلاد عن طريق اتصالاتها مع بيزنطة وبلغاريا وتوطدت عام ٩٨٧م [٤]، لكن في عام ٩٨٨م قرر فلاديمير اعتناق المسيحية، وهناك عدة روايات عن سبب هذا القرار، منها الرواية الأولى: أنّ فلاديمير أرسل مبعوثيه الى القسطنطينية لحضور الاحتفالات الدينية في سانت صوفيا Saint Sophia ، بعدها عادوا إلى كييف Kiev التي تقع على الضفة اليمنى لنهر دنيبر، وأخبروا الأمير عن ما شاهدوه وانبهروا به من طقوس وتقاليد المسيحية اليونانية التي استهوت قلوبهم وعقولهم، ومنها التراتيل والتسابيح والقداس الذي يقام كل يوم أحد في الكنائس الأرثوذكسية، وكذلك الشعور بوحدة المجتمع المسيحي على الرغم من الاختلاف العنصري واللغوي، وكذلك الوحدة الإلهية والكنسية، لذلك خاطب الأمير شعبه وخيرهم في اعتناق أحد الديانات: اليهودية، والإسلامية، والمسيحية الرومانية، أو اليونانية، ووقع اختيارهم على المسيحية اليونانية الأرثوذكسية [٥]، والرواية الثانية: تذكر أنّه استدعى كهنة كاثوليك وأرثوذكس وعلماء دين من المسلمين واليهود لاختيار الديانة الافضل بينهما، وبعد سماعه لهؤلاء اعلن أنه لا يستطيع اعتناق المذهب الكاثوليكي لأنه لا يريد أنّ يخضع نفسه للبابا، كما أنّ الاسلام لا يصلح أنّ يكون ديناً له لأنه يحرم شرب الخمر، أمّا اليهودية فإنّه لا يستطيع أن ينتمي إلى شعب رفضه الهه فلم يبقى أمامه إلا الديانة المسيحية الارثوذكسية فاعتنقها [٦]، وهناك من يقول: " أن فلاديمير ... أعتنق الإسلام ثم ارتد عنه الى المسيحية " [٧].

أما الرواية الرابعة: أن فلاديمير أصيب بمرض في عينه، وقد شفي من مرضه على يد أحد التابعين للديانة المسيحية البيزنطية الأرثوذكسية، وأعجب الأمير بهذه الديانة [٨]، أمّا الرواية الخامسة: وتبدأ من تمرد برداس فوقاس Bardas Phocas، حاكم أنطاكية وسيطرته على معظم الأراضي البيزنطية، الأمر الذي دفع الإمبراطور البيزنطي ياسل الثاني Yasel II (٩٧٦- ١٠٢٥م)، أن يستنجد بأمير الروس ويطلب منه المساعدة، وطلب فلاديمير الزواج من أخت الإمبراطور، لكن الأخير طلب أن يتعمد الأمير وشعبه، وفيما بعد أرسل الإمبراطور مطارنة وأساقفة عمدوا الأمير الروسي وجميع بلاده، وعندما حضرت أخت الإمبراطور الى روسيا

قامت ببناء الكثير من الكنائس فيها ، وبعد أن تم زواج الأمير انضمت جيوش الروس الى قوات الإمبراطور لقتال برداس [٩] .

وأخيراً الرواية السادسة، وهي أنّ الامير فلاديمير كان يحتفل بعد عودته من المعارك منتصرا، ففي عام ٩٨٣م عاد منتصراً في أحد هذه المعارك فقرر أن يقدم قرباناً بشرياً الى الإله (بيرون) الذي كان يعبده، فوقع الاختيار على شاب مسيحي، إلّا أنّ والده رفض تقديمه كقربان للآلهة وثنية، يتنافى هذا العمل مع الايمان المسيحي، فتم قتل الاثنين معاً، هذا دفع الأمير الى التفكير جدياً باختيار ديانة جديدة للبلاد واختار المسيحية وفق المذهب الأرثوذكسي [١٠] .

وعلى الرغم من تعدد الروايات واختلافها إلّا أنّ المسيحية دخلت في البداية مدينة كييف بعد اعتناق أميرها وعماده حسب الطقس البيزنطي، وبذلك أصبحت الكنيسة الروسية تابعة لكرسي القسطنطينية، ومن ثم انتشرت المسيحية الأرثوذكسية في عموم روسيا [١١] . ويبدو أنّ هناك أبعاد سياسية وراء سبب الاختيار .

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الطقس البيزنطي في روسيا كان باللغة السلافية، وكان معظم الاساقفة يونانيين [١٢]؛ لذلك أستمر هؤلاء في أداء دورهم في حياة الكنيسة الروسية، ولم تعارض البطريركية الروسية المكانة الخاصة لليونان في المحيط الأرثوذكسي اليوناني، ورأت أنّ من مسؤوليتها نشر المسيحية في البطريركية الشرقية الأربعة [١٣] .

وكان إرث بيزنطة مهماً لتطور الدولة الروسية، ولا يقتصر أثره على الجانب الديني فقط ، إذ امتد ليشمل جوانب أخرى كالتعليم حيث انتشرت المدارس في بنايات الكنائس والأسقفيات، وترجمة الكتب الكنسية إلى اللغة الروسية، إلى جانب التطور في مجال الفنون [١٤] .

ترجع العلاقات بين الروس والعرب إلى القرن السادس والسابع الميلاديين، عندما كانت الفصائل الروسية تقاتل إلى جانب الجيش البيزنطي في بلاد الشام ضد العرب والمسلمين[١٥]، ومثل اعتناقهم للمسيحية الأرثوذكسية في القرن العاشر الميلادي نقطة تحول في تقوية صلاتهم بالشرق، فبدأت رحلات الحج [١٦]، الروسية إلى الأماكن المقدسة في فلسطين مثل القدس وبيت لحم والتي كانت مقتصرة على رجال الدين الأرثوذكس، ثم توسعت لتشمل عامة المسيحيين في روسيا وكانت رحلاتهم على شكل أفراد ومجموعات، إلى أن انتظمت في نهاية القرن العاشر وفي بداية القرن الحادي عشر منذ عهد الامير فلاديمير الذي شجع رحلات الحج إلى فلسطين استجابة لرغبة رجال الكنيسة، وبهدف جمع المعلومات عن هذه البقعة المقدسة [١٧] .

كما أدى المثقفون والشعراء الشعبيون دوراً مهماً في تشجيع الرحلات الدينية لزيارة تلك الاماكن؛ إذ نظم بعض الشعراء قصائد زادت من حماسة الروس لزيارة الأماكن المقدسة في بلاد الشام ومن أشهر تلك القصائد قصيدة (أربعين من المتدينين) للشاعر الروسي فاسيلي يوسلاييف Vasily Yuslaive الذي صور زيارته إلى القدس مع أصدقائه، والتبرك بزيارة كنيسة القيامة والتبرك في مياه نهر الاردن، أما القصيدة الثانية فكان عنوانها (الأربعون من المتدينين البسطاء)، التي احتوت على معلومات حول رحلتهم إلى مدينة القدس [١٨] .

ووصلت أول إشارة على وجود الحجاج الروس في الأماكن المقدسة في فلسطين عام ١٠١٣م وكان من بين هؤلاء الرحالة انطوان Antoine [١٩]، ورحلة القديس فارلام Farlam راهب دير إمارة مدينة كييف الروسية عام ١٠٢٢م، والذي زار مدينة القدس عام ١٠٦٢م [٢٠] .

وفي عام ١٠٩٩م زار القدس الأمير فلاديمير مونوماخ Vladmimr Mwnwmakh [٢١]، ووالدته الملكة غيدا ghida ، وهناك رواية حول سبب زيارتها وهي عندما هاجم دب مفترس الامير وأصيب اثرها بجروح بالغة، نذرت والدة الامير بزيارة مدينة القدس في حالة شفاء ولدها [٢٢]، وكذلك زار الرحالة الروسي فيتلوس Fitilus ، بلاد الشام ولم ترد اشارة عن زيارته الى القدس، وانما تناول بالذكر نهر العاصي واطلق عليه (فافار) Favar ، وأنّه ينبع من إسفل جبل لبنان [٢٣] .

غير أنّ أول رحلة مدونة عن الأماكن المقدسة في فلسطين هي رحلة الراهب الروسي دانيال Daniel – رئيس دير كييف الذي شد الرحال إلى القدس عام ١١٠٦م، إذ استمرت رحلته سنتين وورد فيها معلومات جغرافية واجتماعية واقتصادية وتاريخية، وتحدث دانيال عن رحلته مع أصدقائه، وعن لقائه مع الروس المتواجدين في الأراضي المقدسة بقوله: " لقد ساعدني الرب انا الضعيف ... هناك مرقد السيد المسيح المقدس، ويعيش فيه أبناء الروس المتطوعون ... "، وكانت رحلته جاءت بتكليف من حكومته، لإيجاد مواطئ قدم لحكومته في هذه المدينة، وتعد أهم المصادر الروسية التي تحدثت عن المدينة المقدسة، والتي ترجمت الى لغات عدة منها اليونانية والفرنسية والالمانية [٢٤] .

من الواضح أنّ مجموعة من الروس قد استقروا في القدس من وقت سبق رحلة دانيال، مّما يعني أنّ التبشير الروسي يكون قد بدأ من هؤلاء لكن دون توثيق، ولكن تكمن اهمية رحلة دانيال بتدوينها وطول مدتها، وكذلك للمعلومات القيمة التي قدمتها في كافة المجالات .

زار الحجاج الروس الأماكن المقدسة في القسطنطينية والقدس وغيرها من مقدسات العالم المسيحي، وقاموا بأعمال بناء للأديرة والمعابد حتى ترهب قسم منهم في تلك الأماكن، ومن هذه الاديرة دير والدة الاله في القدس الذي عاشت فيه القديسة الروسية يفروسينيا Euphrosinia [٢٥]، والذي كان له دور في تطور الصلات بين روسيا والأراضي المقدسة في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي [٢٦]، لذلك تكونت في مخيلة الروس قداسة القدس وعدوها حالة ثابتة من القداسة وتشكل مركزا رئيسيا للمسيحية في القرون الوسطى، وكذلك الحال إلى مدينة بيت لحم فكانت محط انظار جميع الحجاج الروس، وكان كل حاج روسي يعود من الأراضي المقدسة إلى روسيا معه قليل من التراب، أو بعض من ورق زيتون، أو صليب مصنوع من خشب اشجار القدس، وكانت توضع في منازل الأرثوذكس الروس، لتقوية حضور القدس في وعيهم، حتى أنّ السكان الأرثوذكس العرب في فلسطين، كانوا ينتظرون بفارغ الصبر قدوم الحجاج الروس، بل ويطلبون منهم أن يكون واحداً [٢٧]، منهم عراباً لابنه أو ابنته [٢٨]، وهذا ما يؤكد أنّ اعداداً من المسيحيين ليست بقليلة زاروا الأماكن المقدسة في بلاد الشام لدوافع دينية [٢٩]، هذا ولا تقتصر زيارة الأماكن المقدسة على الحجاج الروس من الرجال فقط ، وإنما كان هناك حضور للعنصر النسائي في تلك الرحلات [٣٠] .

وقد تأثرت رحلات الحج الروسية للأماكن المقدسة، نتيجة الاحتلال الصليبي للقسطنطينية والغزو المغولي للأراضي الروسية، لذلك كانت رحلاتهم متقطعة وغير منتظمة [٣١] .

وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر للميلاد، بدأ الأسقف اكريفني **AKryvny**، رحلته وزار مناطق عده منها (دمشق، والقدس، وانطاكية، والرملة، والجليل، والخليل)، ووصف الاوضاع الاقتصادية والمهن الصناعية للمدن في بلاد الشام، ثم رحلة السائح ايكناتي **AKinati** [٣٢]، في عام ١٣٨٩م، والتي تضمنت وصف للمعالم والاثار الدينية لمدينة القدس [٣٣] .

وبعد فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م توالت الرحلات الدينية الروسية؛ إذ قام الرحالة زوسيما **Zosima** راهب دير تروتيسه مع أصدقائه برحلة إلى مدينة القدس ووصل إليها عام ١٤٥٦م، ووصف الأماكن المقدسة في فلسطين، ثم عاد إلى القدس ثانياً عام (١٤٦١-١٤٦٢م)، وقد وضح الصعوبات التي تعرض لها اثناء زيارته لها وما تحمله من أجل الوصول الى مدينة القدس [٣٤] .

وتواصلت رحلات الروس الى بلاد الشام، فقام الرحالة والتاجر الروسي فاسيلي **Vasili** برحلة الى فلسطين عام ١٤٦٥م، وذكر منها الكثير من مناطق بلاد الشام التي مر بها في اثناء رحلته الطويلة والتي استمرت أربع سنوات بين مدن الشرق، وأشار فاسيلي إلى سكان تلك المدن مثل طرطوس وحماة وحمص وأعطى احصائية عن نسبة تواجد المسيحيين فيها بشكل عام، كما تطرق إلى مدينة دمشق وطبيعة الحياة فيها [٣٥] .

ويبدو أنّ هذه الرحلة كانت بتوجيه من قبل الدولة او الكنيسة الأرثوذكسية، وذلك بعد أن اكمل فاسيلي احصائية خاصة للمسيحين في بلاد الشام .

وفي منتصف القرن الخامس عشر قام الراهب فارسوتوفي **Varsunov**، برحلة الى فلسطين، وتناول المواقع التي لها صلة بالديانة المسيحية ، ووصف جغرافية مدينة القدس، والزراعة ومثال على ما ذكره عن شجرة النخيل " رأيت اشجاراً تثمر شيئاً عذباً عجيباً... "، كما تنقل بين مناطق اخرى مثل طرابلس وبيروت ودمشق، ومنها إلى القدس واللد والرملة موضحاً فيها أعداد الطوائف المتواجدة في تلك المناطق قائلاً: " حيث يعيش فيها عدد كبير من الناس السريان والمسيحيين ، والاشوريين والاغريق الارثوذكسي، والمسلمين "، وقد مكث في مدينة القدس مدة شهرين [٣٦].

على الرغم من تعدد أهداف الرحالة والحجاج الروس بين الدعوة الدينية والمصالح التجارية والعلمية وقد تكون، إلّا أنّنا نلحظ انّ الدافع الديني يعد أهم دوافع للرحلات الروسية خلال تلك الفترة . ويبدو أنّ ذلك يعود إلى التكوين الديني لعقلية معظم الرحالة، وكذلك إلى طبيعة عملهم وارتباطهم بالكنيسة ودعم الاخيرة لتلك الرحلات .

بعث القيصر الروسي ايفان الثالث **Evan III** (١٤٦٢- ١٥٠٥م) [٣٧]، في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي بضع من المال لإصلاح القبة المنهارة في كنيسة القيامة [٣٨]، كما ارسل أوّل سفارة له إلى الاستانة بين عامي (١٤٩٦-١٤٩٨م)؛ اذ وجه م. أ. يلشييف **Yelchief** ، السفير الروسي حاملاً أوراق اعتماده إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني (٨٨١-٩١٢م)، لتنظيم العلاقات بين الدولتين [٣٩] .

ثانياً – الرحلات الدينية الروسية بين عامي (١٥٣٣-١٧٦٢م):

في بداية القرن السادس عشر تأسست الدولة الروسية بزعامة موسكو Mosecw ، وحين اعتلى ايفان الرابع Evan IV (١٥٣٣-١٥٨٤م)[٤٠]، العرش الروسي، وطلب من ماكريوس Macrios – رئيس اساقفة الكنيسة الارثوذكسية في موسكو أن يعتبر الاخيرة كوريث للإمبراطورية البيزنطية وعاصمة للمذهب الارثوذكسي، وبأن يكون القيصر هو الرئيس السياسي والديني لهذا المذهب في العالم [٤١]، وفي عهده تمت السيطرة على أستراخان وقازان الواقعتان على نهر الفولغا وغيرها من المدن، وكان لهذا النجاح علامتان فارقتان لأنهاء الوجود الإسلامي في هذه المناطق [٤٢]، وبعد ذلك تعرضت تلك الشعوب إلى سيطرة الروس وبدأت حركة التبشير إلى الأرثوذكسية، لذلك بدأ ايفان الرابع يلقب نفسه بالقيصر The cetsar [٤٣]، من عام ١٥٤٧م، واتخذ من النسر ذي الرأسين شعاراً لدولته الناشئة [٤٤] .

شجع القيصر ايفان الرابع الرحلات إلى الأراضي المقدسة في فلسطين، وأرسل القس كينادي Kenadi، عام ١٥٥٨م لتوزيع الأموال لبناء الأديرة والكنائس، ولدعم جميع البطاركة الشرقيين الفقراء من المسيحيين الأرثوذكس الساكنين في تلك المناطق، ورافقه التاجر يوزيناكوف Yuzhinakov، وابنه في رحلته الذي ووصل إلى فلسطين عام ١٥٥٩م، ومكث فيها لمدة ثلاث أشهر، ومن بين ما دونه من معلومات عن الأحوال الزراعية والمعيشية لمدينة القدس تلك التي تحدثت عن موسم سقوط الامطار في الخريف حتى ميلاد السيد المسيح، وانقطاعها في فصلي الربيع والخريف، وكذلك تحدث عن طبيعة بناء البيوت في المدينة ووصف مساكنها مع انحناء سفوحها إلى الأسفل، ثم تطرق لوجود آبار المياه في داخل تلك المساكن التي يتواجد فيها المياه طول ايام السنة [٤٥] .

كما أولت السلطات العثمانية فيما بعد رحلات الحج بشكل عام اهتماماً كبيرا، إذ شكلت الضرائب التي كانت تفرض على الحجاج القادمين إلى فلسطين مورداً مهماً لدخل الدولة العثمانية، وفرصة لتطبيع العلاقات مع الدول الاجنبية [٤٦] .

اكتملت سيادة الكنيسة الروسية يوم إعلان موسكو بطريركية مستقلة عن القسطنطينية في عام ١٥٨٩م، ومنحت الرتبة الخامسة بعد الكراسي البطريركية الرسولية الاربعة (القسطنطينية، انطاكية، القدس، الاسكندرية) [٤٧]، وكان لهذا اثر كبيرٌ في زيادة اهتمام الروس بالأماكن المسيحية المقدسة في بلاد الشام، ففي عام ١٦٣٧م قام الراهب كاكار Kakar [٤٨]، برحلة إلى فلسطين وادّعى أنّ هدف رحلته زيارة القدس لأداء الصلاة وطلب الرحمة والغفران عن خطاياه، الا أنّ الراهب جمع معلومات عن الأماكن المقدسة وغيرها من المناطق التي مر بها تتعلق بالوضع الاقتصادي، وبدأ رحلته التي استمرت ثلاث سنوات زار خلالها دمشق والقدس واستقر في الاخيرة لمدة ثلاثة أيّام، والتقى بالرهبان الروس في فلسطين الذين عبروا له عن سرورهم بزيارته [٤٩]، وهناك رحالة آخر وصل إلى مدينة القدس عام ١٦٥٢م وهو الرحالة سوفانوف Suvanov، باني دير بوكويافلينكي، الذي انصب اهتمامه على دراسة العادات والتقاليد الدينية في الشرق، فضلاً عن تكليفه من الحكومة الروسية بواجبات ذات طابع سياسي، وعند عودته زار سورية، حاملاً معه من الشرق عدداً من الكتب والمخطوطات الثمينة قدرت بحوالي

الخمسمائة [٥٠]، ثم وصل بعد ذلك الرحالة مالينكي Malinki ، إلى مدينة يافا عن طريق البحر بعد أن زار مصر، أمّا عن ملاحظاته فكان أغلبها عن القضايا الدينية [٥١] .

وهنا لابد من الاشارة إلى أن الرحلات لم تقتصر على الروس فقط بل كانت رحلات من الشرق الى روسيا مثل رحلة مكاريوس الحلبي Makarios بطريرك كنيسة انطاكية مع ابنه الشماس بولص الحلبي عام ١٦٥٣م، والتي استمرت لمدة سنتين، وكانت بهدف طلب المساعدة المادية للكنيسة المثقلة بالديون، وكذلك اسهمت في تقديم معلومات عن الشرق الى الروس [٥٢] .

يتضح أنّ رحلات الروس في تلك الفترة اتسمت بطابع استخباراتي مع اهتمام بالنشاط الاقتصادي لكل الأماكن التي مروا بها معززين ذلك بكتابة التقارير السرية من قبل الرحالة إلى الحكومة الروسية، وأسهمت تلك المعلومات في ايضاح توجهات القياصرة الروس فيما بعد تجاه الدولة العثمانية بشكل عام والأماكن المقدسة بشكل خاص .

بتولي القيصر بطرس الأول Peter I (١٦٨٢-١٧٢٥م) [٥٣]، عرش روسيا اتضحت سياسة الخارجية ودوافعها الاستراتيجية من جديد إلى جانب الدوافع الأخرى التي أشرنا إليها مسبقاً، عندما أعلن القيصر حاجة روسيا إلى منافذ إلى المياه الدافئة، وكانت الدولة العثمانية حينها تسيطر على البحر الأسود، والسويد تسيطر على بحر البلطيق، وقد فضل القيصر التوجه إلى البحر الأسود، ومن ثم السيطرة على الممرات المائية للوصول إلى البحر المتوسط [٥٤] .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا توجه بطرس الأكبر نحو الدولة العثمانية قبل السويد وبولندا ؟

ويجيب عليه أحد الباحثين أن السبب هو عدم قدرة روسيا على خوض الحرب في أكثر من جبهة، كذلك رغبة القيصر الشخصية في الاستيلاء على البحار مثل البحر الأسود، وكذلك الاختلاف العقائدي بين الدولتين، ضف إلى ذلك أنّ التوجه الروسي باتجاه الدولة العثمانية يساهم في إثارة المشاعر الدينية للشعب الروسي ويرفد قواته بعدد كبير من المتطوعين لقتال المسلمين، كما أنّ العامل الجغرافي قد كان له دورا كبيرا في توجه روسيا، لذلك اقدم القيصر بحملة أولى عام ١٦٩٥م، بهدف الاستيلاء على ازوف Azov [٥٥]، ولم يكتب لها النجاح، ثم جهز حملة ثانية في عام ١٦٦٩م وحقق النصر فيها [٥٦]، ونتج عنها عقد اتفاقية كارلوفيتز Karlovitz [٥٧]، من نفس العام والتي تضمنت امتيازات دينية، فقد نص أحد بنود المعاهدة على تأكيد الامتيازات التي حصل عليها الكاثوليك [٥٨]، والتي شكلت بداية تحول في سياسة روسيا القيصرية تجاه الدولة العثمانية عامة والشرق الأرثوذكسي خاصة، لذلك منح الحجاج الروس المتوجهون إلى الأماكن المقدسة ضمانات من السلطان العثماني، كما جعلت روسيا في مقدمة المدافعين عن رعايا الدولة العثمانية من الطائفة الأرثوذكسية [٥٩] .

وفي عام ١٧٠١م تأسست سفارة روسية في الدولة العثمانية بإشراف السفير الروسي تولستوي Tolstoy، وكان لهذا السفير الدور الكبير في إرسال التقارير فيما يخص أوضاع الرعايا المسيحين الأرثوذكس بالدولة العثمانية [٦٠]، وما يتعرض له المسيحيون والديانات الأخرى من ظلم واضطهاد على أيديهم، لذلك بدأ القيصر بطرس الأول باستعمال الدافع الديني من أجل الوصول إلى اهدافه، واتخذ الرهبان كعامل مساعد في تأجيج

المسلمين في داخل الدولة العثمانية، من خلال بث الاشاعات بضرورة تحرير القسطنطينية لأنها مركز الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية [٦١] .

من مهام السفراء الروس الرئيسية التوسط لدى السلطات العثمانية والحصول على فرمان من السلطان العثماني يسمح به للحجاج الروس بزيارة الأماكن المقدسة، فضلاً عن أنّ اغلب السفراء زاروا هذه الأماكن، وفي مقدمهم تولستوي [٦٢]، واقتصرت جهوده في زيادة عدد الرحلات في هذه المرحلة ، ومنها رحلة الراهبان ماكاري وسيليفرست Silvarfirst and Makari عامي (١٧٠٤-١٧٠٧م)، إلى مدينة القدس عن طريق البحر من خلال مدينة يافا، وتحدث عن المصاعب التي تعرضوا لها خلال مسيرتهم، كذلك وصفوا الأماكن المقدسة في القدس مع الإشارة إلى النشاط الاقتصادي لسكانها، بعد أنّ أمضى الحجيج فيها ما يقارب السنة، وتبعتها بعد ذلك رحلة الراهبان فيشيتكي وايكناتييف Fishitki and Eknatif إلى القدس في عام ١٧٠٧م، حيث زار مدن بلاد الشام دمشق، وصيدا، ويافا، ثم عن طريق مدينة الرملة ووصلا إلى القدس واستقرا في الاخيرة حوالي ثمانية أشهر، وهذه الرحلة لا تختلف عن السابقة في وصفها للاماكن المقدسة [٦٣]، كما وزار القس لوكيانوف Lukyanov، عن طريق البحر إلى فلسطين، واستقر في مدينة يافا لبعض الوقت، وأشار إلى وضع سكان المدينة الاقتصادي المتردي فيها بسبب وجود قراصنة ينهبون السفن، ثم وصل إلى القدس برفقة قافلة تضم ألفاً وخمسمائة حاج، وأمّا وصف لوكيانوف لمدن فلسطين فقد كان بروح الحجيج اللاهوتية [٦٤]، وكان برفقته شقيقه ستيفان Stephan، ثم جاءت بعد ذلك رحلة القس أفرام Afram [٦٥]، عام ١٧١٢م، ورحلة الراهب سليفيز Sleeves، إلى مدينة القدس عام ١٧٢٢م، وهذا ما يؤكد اهتمام القيصر بطرس الأول لمعرفة المزيد من المعلومات عن الأماكن المقدسة في فلسطين [٦٦] .

وبسبب تأثر بطرس الأول بالمبدأ الأوربي، أي أنّ دين الحاكم هو دين الدولة وأن الكنيسة المستقلة ضارة ويجب اخضاعها إلى سلطة مدنية ومنع امكانية ظهور مصلحين في الكنيسة [٦٧]، ألغى في عام ١٧٢١م سلطة البطريرك، وأسس بدلاً عنها المجمع الكنسي Eckosiastical College ، الذي يتألف من أشخاص يعينهم القيصر وتحت إشرافه، وسمي النظام الجديد باسم السينودس الحاكم المقدس Svieishii praviteles Vaiushchii Sinod[٦٨]؛ لذلك أصبحت الكنيسة أداة سياسية بيد القياصرة الروس لكسب التأييد الشعبي لهم، ولتوسعاتهم تجاه الدول الاخرى تحت اسم (روسيا المقدسة) [٦٩]. لهذا وجه قيصر روسيا الناحية الدينية وجهة سياسية اتخذت اشكالاً متعددة تحقيقا لأطماعه في ممتلكات الدولة العثمانية، ومن الواضح أيضاً أنّ القيصر بطرس الأكبر حاول الاستفادة سياسياً من الاوضاع المتردية لبعض المدن المسيحية في بلاد الشام ولضغط من خلال رعاياها لتقديم بعض التنازلات ولتحقيق المكاسب السياسية .

كما شجع بطرس الأول حركة الاستشراق، ووضع أسس علم الاستشراق الروسي، لأهداف دينية وعلمية واقتصادية وسياسية توسعية [٧٠]، ومن أعماله أنّه انشأ جمعية تعني بشؤون الشرق، وكان من دوافعها حالة العداء بين الروس والدولة العثمانية وطموحها في الوصول إلى المياه الدافئة، وتخوف روسيا من ثورة الشعوب الإسلامية الواقعة تحت احتلالها، فضلا عن كسب وّد العرب وصداقتهم تجاه سياستها في المنطقة، كما تأسست

أكاديمية العلوم الروسية والتي جعلت من بين أهدافها دراسة اللغات الشرقية واعداد دبلوماسيين متخصصين في شؤون الاسلام عامة والشرق بصورة خاصة، وكذلك حققت روسيا لأوّل مرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية [٧١]، كذلك أدخلت أول مطبعة عربية إلى روسيا في عهده [٧٢]، وعلى الرغم من تزايد الاهتمام الروسي بالطائفة الأرثوذكسية في بلاد الشام، إلّا أنّ هناك من سبق الروس، حيث وقع فريق من الملكيين تحت تأثير البعثات اليسوعية، وانقسموا إلى فريقين الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك واتحد الاخير مع روما وله بطريركه الخاصة به [٧٣] .

ثالثاً – الرحلات الدينية الروسية حتى عام ١٨٢٩م :

استمرت الرحلات الدينية الروسية إلى بلاد الشام، بعد وفاة بطرس الأول عام ١٧٢٥م، إذ جاءت رحلة الراهب بارسكي Barsky (١٧١٠-١٧٤٧م)، وزار مدن عده منها مدينة يافا والقدس وأغلب مدن فلسطين [٧٤]، كما زار دمشق ووصف طبيعتها وجمالها وأشار إلى أنّ المدينة محاطة " بالجبال الصخرية وهي تمتد من الشمال، الى الجنوب نحو الشرق، والحقول جافة لا مياه فيها، والصحراء تمتد بعيداً..." [٧٥]، أما عن القدس فكان اهتمامه منصباً على تفاصيل الحياة اليومية فيها من عادات وتقاليد سكانها وعدم شربهم للخمر، ويعزو بارسكي ذلك إلى قلة زراعة العنب، وقد وقع في وهم، وأن الصحيح هو أن الدين الاسلامي قد حرم شرب الخمر [٧٦]، ثم رحلة سيرابيون Serapion إلى القدس في الربع الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، يضاف إلى ذلك ما قدمه الدبلوماسيين الروس المقيمون في الدولة العثمانية من تقارير مثل تقارير، أينبلوبيف وفينشاكوف Yenplosievov and Venshakov [٧٧] .

وعندما اعتلت كاترين الثانية Catherine II (١٧٦٢-١٧٩٦م)[٧٨]، العرش الروسي كانت الانتفاضات تجتاح البلاد[٧٩]، وعلى الرغم من اهتمامها بالكنيسة وممارسة العقائد الدينية، إلّا أنها تنقلب إلى خصم عندما تصطدم القضايا الكنيسة بالسلطة الزمنية، لذلك قامت بإصلاحات منها نقل أملاك الكنيسة إلى الدولة، ودعت المجمع المقدس إلى الاجتماع وألقت على أعضائه خطبة أكدت فيها على سيطرتها المطلقة إذ قالت: " أنتم خلفاء الرسل الذين ألقى الله عليهم مهمة التبشير بالزهد واحتقار الثروات وحطام العالم..."[٨٠]، وسارت كاترين الثانية على سياسة القيصر بطرس الأول وتنفيذاً لوصيته[٨١]، في الوصول إلى المياه الدافئة. وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين حول صحة تلك الوصية، إلّا أنّ الوصية كانت متطابقة مع سياسة بطرس الأول والقياصرة من بعده [٨٢] .

سعت الدبلوماسية الروسية إلى استعمال السياسة الكنسية في بلاد الشام، لإرساء نوع من الوجود الروسي الأرثوذكسي، ودعم مصالحها [٨٣]، ففي معاهدة بلغراد Bulgrde [٨٤]، عام ١٧٣٩م جددت روسيا امتيازاتها الدينية وبموجبها اصبح لهم الحق في بناء كنائس جديدة أو ترميم القديمة منها [٨٥] .

وقدمت الامبراطورة كاترين الثانية المعونة إلى حركات التمرد ضد الدولة العثمانية في مصر وفلسطين وبيروت [٨٦]، حتى طلب يوسف الشهابي[٨٧] من الروس قبوله في عداد الرعايا الروس، وإقامة الحماية الروسية على لبنان، لكن إنهاء الحرب بين روسيا والدولة العثمانية وعقد اتفاقية كوجك كينارجي Kojk Kinarji [٨٨]،

عام ١٧٧٤م حال دون ذلك [٨٩]، وقد حصلت روسيا بموجب هذه المعاهدة [٩٠]، على امتيازات دينية عدة ، ففي المادة السابعة والثامنة والرابعة عشر من بنودها، تعهد السلطان العثماني بحماية المسيحي الأرثوذكسي، ويمنح روسيا ترخيصاً ببناء كنيسة ارثوذكسية في اسطنبول يكون على رأسها أساقفة روس تحت حماية السفير الروسي، ويحق له التدخل لصالحها، كما سمح للرعايا الروس بالحج إلى الأماكن المقدسة بدون أي رسوم وتصاريح [٩١]، كما اعطت الحق للقيصر حماية الأرثوذكس [٩٢]. وتعد هذه المعاهدة نقطة تحول كبيرة في زيادة نفوذها من خلال إعلان الحماية لرعايا الأرثوذكس وربط الطائفة الأرثوذكسية في الدولة العثمانية عامة وبلاد الشام خاصة بالاتجاه العام لسياسة الروسية .

كما حرصت كاترين الثانية من جانبها على تضمين ذلك الحق في معاهدة ياسي Yasi [٩٣]، عام ١٧٩٢م إذ اكدت شروط على حماية الأرثوذكس [٩٤]، لذلك بدأت الرحلات الدينية الروسية، ففي عام ١٧٩٣م وصل الراهب ميلتي Melty إلى فلسطين، وتطرق إلى عدد الحجاج في مدينة القدس، وقدر عددهم حوالي خمسة آلاف حاج، غالبيتهم من الأرثوذكس، ووصف مدينة يافا بشوارعها ومساكنها وبساتينها التي اشتهرت بأشجارها المتنوعة ومنها النخيل [٩٥]، وتحدث عن الانتماءات الدينية والقومية فيها واشار الى وجود عدد غير قليل منهم من اتباع المذهب الأرثوذكسي [٩٦] .

ولمّا اعتلى القيصر الإسكندر الأول Alexander I (١٨٠١- ١٨٢٥م) [٩٧]، استمرت الرحلات الروسية إلى الأماكن المقدسة في فلسطين، مّما زادت الحكومة الروسية من المساعدات المالية إلى البطريركية الأرثوذكسية في القدس[٩٨] .

ففي عامي (١٨٠٤-١٨٠٥م)، زار الراهب فيشيناكوف Vishinakov، برفقة اثنين من اصدقائه برحلة إلى القدس قادماً من اسطنبول ويافا، وقد سجل معلومات دقيقة عن مدينة القدس ولحظ فيشيناكوف أنّ العرب في سورية وفلسطين يمقتون العثمانيين بسبب سوء إدارتها [٩٩] .

تواصل الضغط الروسي على الدولة العثمانية من خلال دعم الثورة اليونانية (١٨٢٢- ١٨٢٨م)، بحجة حماية الارثوذكس فيها والتي مثلت بداية مرحلة جديدة مزجت الانتماء الديني بالشعور القومي السلافي[١٠٠]، وللحصول على امتيازات دينية لصالح الأرثوذكس في معاهدة بوخارست Bucharest [١٠١]، عام ١٨١٢م، وخلال هذه المدة لم تتوقف المساعدات المالية من روسيا إلى القدس، ففي نفس العام تم تحويل مبلغ خمسة وعشرين الف روبل من خزينة الدولة الروسية من أجل اصلاح كنيسة القيامة، وبعد عامين تم إرسال أكثر من مئة واربعين الف روبل تم جمعها من خلال تبرعات المواطنين الروس [١٠٢] .

كذلك حصلت روسيا على امتيازات دينية للطائفة الارثوذكسية في المعاهدات الملحقة والبنود التفسيرية مثل اتفاق اكرمان Akarman عام ١٨٢٦م، وصلح أدرنة Edrina عام ١٨٢٩م [١٠٣]. ومّما لا شك فيه فقد مهدت تلك المعاهدات بظهور الدولة العثمانية بمظهر الرجل المريض ، وفتحت المجال واسعاً للتغلغل الروسي في بلاد الشام .

على الرغم من ذلك استمرت الرحلات الدينية، ففي عام ١٨٢٩م وصل الكاتب اللاهوتي ومؤرخ الكنيسة الأرثوذكسية مورافييف Moraviov إلى مدينة القدس قادماً من صحراء سيناء، عن طريق غزة والتي وصفها "من اغنى مدن فلسطين بتجارتها " وينطبق هذا الوصف عند زيارته لمدينة بيروت، فضلاً عن ذلك فقد كتب العديد من التقارير الحكومية حول المدن التي زارها [١٠٤].

الخاتمة:

لقد اتضح من خلال الدراسة أنّ اعتناق فلاديمير المسيحية الأرثوذكسية كان له أثرٌ كبير في تشجيع الشعب الروسي على القيام بالعديد من الرحلات إلى بلاد الشام بهدف جمع المعلومات عن الأماكن المقدسة، فضلاً عن الاهداف الدينية والاقتصادية .

وبعد سقوط القسطنطينية في عام ١٤٥٣م أعلن الروس انفسهم ورثة زعامة المذهب الأرثوذكسي وبدأت الرحلات تأخذ الطابع الاستخباري والسياسي وفي نفس الوقت اقتصرت على الدعم المادي للكنائس الشرقية في تلك المرحلة .

تعد الرحلات الروسية من أهم الرحلات التي تناولت بالوصف الأماكن المقدسة وباقي مدن بلاد الشام، لكنها من جانب آخر مثلت جوانب سلبية من أبرزها ارتباط الرحالة بالكنيسة أو الحكومة الروسية .

كذلك استعملت روسيا سياسة القوة تارة والتفاوض تارة اخرى مع الدولة العثمانية من أجل الحصول على الامتيازات الدينية ومنها منح الحجاج الروس ضمانات من السلطان العثماني واعطاء الحق في حماية الرعايا الأرثوذكس .

الهوامش:

(١) الروس: هم قبائل سكنت أوربا الوسطى والشرقية منذ القرن الاول الميلادي، وهناك عدة اراء حول أصل الروس منهم من ارجعهم إلى الصقالبة أو السلاف التي تعيش في السهوب ومركزها في رودن، ونتيجة تعرضها للهجمات اتحدت تلك القبائل وكونت تحالفاً باسم الروس في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادين، ثم تحول هذا التجمع القبلي إلى مدينة كييف ليكون مركزاً له . للمزيد من المعلومات ينظر: ليلى عبد الجواد اسماعيل، تاريخ الروس من خلال المصادر العربية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٠ .

(٢) الامير فلاديمير: ابن يفانوسلاف وحفيد القديسة أولجا، واول دوق مسيحي لكييف منذ عام ٩٨٠م ، خاض حروباٍ عديدة ضد اللتوانيين والبلغار وغيرهم، اعتنق المسيحية وجعلها ديانة اسرته وشعبه الروسي كافة تزوج من الاميرة البيزنطية أنا، ونظم قوانين المحاكم الكنسية. للمزيد من التفاصيل ينظر: مجموعة باحثين، الموسوعة العربية الميسرة، الجزء الخامس، بيروت،٢٠٠٩م، ص٢٤٢٢ .

(٣) ليلى عبدالجواد اسماعيل، المصدر السابق، ص ٥٤ .

(٤) اغناطيوس ديك، الشرق المسيحي، دمشق، د.ت، ص١٠٧ .

(٥) فيليب برايس، موجز تأريخ الاتحاد السوفيتي، ترجمة: جليل قطو، ١٩٦١م، ص ١٣ .

(٦) ادريس الناصر رائسي، العلاقات العثمانية–الاوربية في القرن السادس عشر، بيروت، ٢٠٠٧م ، ص١١٣ .

(٧) عبد الرحيم العطاوي ، الاستشراق الروسي ، بيروت ، ٢٠٠٢م ، ص ٢٥ .

(٨) علي هادي عباس المهداوي، التطورات السياسية في روسيا القيصرية (٨٦٢– ١٩١٧م)، بغداد، ٢٠١٨، ص ١٩ .

(٩) ليلى عبدالجواد اسماعيل، المصدر السابق، ص ٥٥ – ٥٦ .

(١٠) علي هادي عباس المهداوي، المصدر السابق، ص ١٩ – ٢٠ .

(١١) نجيب قاقو، كنيسة روسيا، ظلال وأضواء، مجلة الفكر المسيحي، السنة (١٥)، العدد (١٤٩)، الموصل، تشرين الثاني ١٩٧٩م، ص ٤٠٩ .

(١٢) اغناطيوس ديك، المصدر السابق، ص ١٠٧ .

(13) Derek Hpwood ,The Russian Presence in Syria and Palestine 1843–1914) church and politics in the near East) Clarendon press. oxford 1969, p. 5 .

(١٤) هاشم صالح التكريتي، مقدمة في تاريخ روسيا الحديث قيام الدولة الروسية الحديثة وبداية توسعها، بغداد، ٢٠١٥م، ص ٢٣ .

(١٥) ب . م، دانتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الأوسط، ترجمة وتعليق: معروف خزنة دار، بغداد، ١٩٨١م، ص١١.

(١٦) إن الحج فرض على المسلمين مرة واحدة الى مكة، لكن الحج الى الأرض المقدسة لم يكن فرضاً على المسيحيين، ومع هذا فأن الحاج المسيحي يكسب مكسباً روحياً عظيماً، للمزيد من التفاصيل ينظر: اندرو هويتكروفت، الكفار تاريخ الصراع بين عالم المسيحية وعالم الإسلام، ترجمة: قاسم عبده قاسم ، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٢٨٨ .

(17) Maureen perrie ,the Cambridge history of Russia, Vol. I, Cambridge, 2001 , p .1;

نوري السامرائي، تطلعات روسيا القيصرية نحو فلسطين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة المجمع العلمي، الجزء الرابع، المجلد (٥١)، بغداد، ٢٠٠٤م، ص ١٢٨.

(١٨) ب .م . دانتسيغ ، المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(١٩) صابرين جميل عبد السلام شكارنة، الاملاك الروسية في فلطسين من القرن التاسع عشر الميلادي حتى الوقت الحاضر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليل، ٢٠٢٠م ، ص ٢٤ .

(20) Н. Н. Лисавой. Российская духовная миссия в Иерусалиме, история и духовное наследие, Санкт–Прессбург, 1999. С. 37;Derek Hopwoodm,op. cit, p.10

(٢١) الامير فلاديمير: فلاديمير فسيفولودوفيتش مونوماخ، ولد عام ١٠٥٣م – رجل دولة، قائد عسكري، كاتب، مفكر، أمير روستوف للفترة (١٠٦٦– ١٠٧٣م)، أمير سمولينسك (١٠٧٣–١٠٧٨م)، وتشيرنيغوف (١٠٧٨– ١٠٩٤م)، وبيرياسلافسكي (١٠٩٤– ١١١٣م) ودوق كييف الأكبر (١١١٣–١١٢٥م)، ورث لقب مونوماخ من والدته في الواقع، تعد فترة حكم فلاديمير مونوماخ هي الفترة الأخير لأمارة كييف القوية حيث سيطر هو وأبناؤه على ثلاثة أرباع أراضيها، فضلاً عن توحيد معظم الأراضي التي كانت تحت يده. تزوج ثلاث مرات، وتوفي عام ١١٢٥م في مقر إقامته بالقرب من موطنه الأصلي في يارسلافل . للمزيد ينظر:

А. В. Назаренко Древняя Русь в средневековом мире. Энциклопедия / Под ред. Е. А. Мельниковой, В. Я. Петрухина. 2-е изд. М. Ладомир, 2017. С.132–133.

(٢٢) ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، بيروت، ٢٠١٣م، ص ٥٤ .

(٢٣) أحمد عبد الكريم الدالي وعمار محمد النهار، الزراعة في الأراضي المقدسة (فلسطين) من خلال كتب الرحالة الروس والألمان في الفترة ما بين (٥٠٠– ١٢٣٢م)، مجلة، جامعة البعث، المجلد (٣٩)، العدد (٧٥)، دمشق، ٢٠١٧م، ص ٢٤ .

(٢٤) ب . م . دانتسيغ ، المصدر السابق، ص ٢٣ – ٢٦ .

(٢٥) يفروسينا: ولدت يفورسينا بولسكايا في عام ١١٠١م، وهي ابنة الأمير سفياتوسلاف فسيسلافيتش, راهبة ومربية في فترة إمارة بولوتسك، تميزت منذ الطفولة بحبها للصلاة وتعلم الكتاب. بعد بلوغها سن الرشد رفضت ايفورسينا عروض الزواج وذهبت إلى دير, وبعدها استقرت في كاتدرائية بولوتسك صوفيا وعاشت هناك ، حيث أعادت كتابة الكتب، وربما ترجمت بعض الكتب, وكانت نشطة في مجال السلام والأنشطة التعليمية, وقامت ببناء كنيستين في بولوتسك على نفقتها الخاصة، وأسست أديرة للنساء والرجال بالقرب من بولوتسك، والتي أصبحت مركزًا للتعليم في إمارة بولوتسك . قبل وفاتها بفترة وجيزة، ذهبت الراهبة مع ابن أخيها ديفيد وأختها ايفبراكسا في رحلة حج إلى الأماكن المقدسة حيث وصلت إلى القدس ، وتوفيت عام ١١٦٧م في القدس ودفنت في دير القديس ثيودوسيوس, وفي عام ١١٨٧ م، تم نقل جثمان القديسة إلى دير كييف– بيشيرسك، وفي عام ١٩١٠م نُقلت الآثار إلى بولوتسك إلى الدير الذي أسسته . للمزيد من المعلومات ينظر:

Энциклопедический словарь Брокгауза и Ефрона : в 86 т. (11 т.). СПб., 1894.С 507–508.

(٢٦) م . م، تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية، لبنان، د.ت، ص ١٤٧ .

(٢٧) سهيل فرح، صورة القدس في الوعي الديني الروسي، روسيا وأرثوذكسي الشرق، جامعة البلمند، ١٩٩٨م، ص ٤٠ – ٤٤ .

(٢٨) ليلى الصباغ، الجاليات الأوربية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر، الجزء الأول، بيروت، ١٩٨٩م، ص ٢٨ .

(٢٩) حيدر جاسم الرويعي، تطور مفهوم الشرق في الفكر الأوربي من خلال كتابات الرحالة الأوربيين، مجلة القادسية، في الآداب والعلوم التربوية، المجلد (١)، العددان (٣-٤)، جامعة القادسية،٢٠١١م، ص ٤٢ .

(٣٠) ب . م . دانتسيغ ، المصدر السابق، ص ٢٨ .

(٣١) المصدر نفسه ، ص ٢٩ – ٣٠ .

(٣٢) ايكناتي: سمولنيانين ايكناتي (ولد أواخر القرن الرابع عشر) هو رحالة ومؤلف كتاب "الرحلة " إلى القسطنطينية في ١٣٨٩-١٣٩٣م، كان أحد المشاركين في الرحلة إلى القسطنطينية للمتروبوليت بيمين والأشخاص المرافقين له من أجل الحفاظ على منصب المتروبوليت، لا تُعرف شخصيته إلا من خلال كتاب "المشي"، توفي عام ١٤٠٤. للمزيد ينظر :

Энциклопедический словарь Брокгауза и Ефрона : в 86 т. (том 7). СПб, 1894.С. 782-783.

(٣٣) ب . م . دانتسيغ، المصدر السابق، ص ٣١ – ٣٣ .

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٣٤– ٣٥؛ صابرين جميل عبد السلام شكارنة، المصدر السابق، ص ٢٥ .

(٣٥) ب . م . دانتسيغ، المصدر نفسه، ص ٣٦ – ٣٨ .

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٣٩ – ٤٠ .

(٣٧) أيفان الثالث: ولد في عام ١٤٤٠م، والده فاسلي الثاني وامه ماريا، تزوج من ابنة اخ اخر أباطرة الامبراطورية البيزنطية، وقد اسند اليه والده ولاية العهد عندما كان عمره ستة عشر عام، واعتلى عرش أمارة موسكو في عام ١٤٦٢م، واستطاع توسيع رقعة بلاده، وامتنع عن الخضوع للمغول، توفي عام ١٥٠٥م . للمزيد ينظر: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٢٨٩؛ علي هادي عباس المهداوي، المصدر السابق، ص٣٩ .

(38) Н. Н. Лисавой , Собр . соч . С . 37.

(٣٩) مشعل مفرح ظاهر، روسيا القيصرية في عهد القيصر بطرس الأكبر (١٦٨٩– ١٧٢٥م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٦م، ص ١٠٣ .

(٤٠) ايفان الرابع: هو ايفان فسيلفتش أبن فاسلي الثالث والد عام ١٥٣٠م، وعندما بلغ السابع عشرة من عمره توج قيصراً لروسيا عام ١٥٤٧م، وفي نفس العام تزوج زوجته الاولى انتاسيا زافارينا والذي اختارها من بين الف فتاة، وشهدت فترة حكمه تنفيذ بعض الاصلاحات، كما تميزت بالعديد من لحروب . للمزيد من التفاصيل ينظر: سامي صالح الصياد القيصر ايفان الرابع الرهيب ودوره في نهضة روسيا الحديثة١٥٣٠-١٥٨٤م، مجلة سر من رأى، المجلد (١٠)، العدد (٣٩)، السنة العاشرة، جامعة تكريت، كانون الأول ٢٠١٤م، ص١٧٠-١٧٣؛

Troyat henri ,Ivan the Encylopaedia Britannicamvol,12 . p 803-804 .

(٤١)فليب برايس، المصدر السابق، ص ٢٨ – ٢٩ .

(٤٢) الميرا أحمد وفا، إدارة الاقليات المسلمة في روسيا، الرياض، ٢٠١٨م ، ص١١.

(٤٣) القيصر: لقب استخدمه الاباطرة الرومان ثم الالمان والروس، وقد احيا هذا اللقب من قبل الروس وسميت روسيا القيصرية نسبة الى هذا الاسم واخذت تطلق إلى سقوط الحكم القيصري عام ١٩١٧م . للمزيد ينظر:

D jesse . Clarkson , Ahistory of Russia,New Y ork ,1963 , p. 300 ;

عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسية، الجزء الرابع، بيروت، د.ت، ص ٨٣٦ .

(٤٤) نوري السامرائي ، المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

(٤٥) أحمد حسين عبد ، تجارة القدس الشريف الخارجية في العهد العثماني دراسة من خلال سجلات محكمة القدس الشرعية، مجلة كلية المأمون الجامعة، العدد (٢١)، بغداد، ٢٠١٣م، ص ٦ .

(٤٦) ب . م . دانتسيغ ، المصدر السابق ، ص ٤٥ – ٤٦ .

(٤٧) اغناطيوس ديك، المصدر السابق، ص ١٠٩؛ ناصر زيدان، المصدر السابق، ص ٥٦ .

(٤٨) كاكار: فاسيلي ياكوفليفيتش غاغارا (غوغارا) ولد في موسكو وهو تاجر ورحالة وكاتب. عاش في قازان وتاجر مع بلاد فارس حتى سن الأربعين، قام برحلة في الفترة ١٦٣٤-١٦٣٧م إلى الشرق الاوسط ، حيث انطلق مع خادم وثمانية من رفاقه على طول نهر الفولغا من قازان إلى أستراخان، ومن هناك إلى تبليس في جورجيا، ثم القدس، و بيت لحم، في عام ١٦٣٥م وصل إلى مصر حيث التقى بطريرك الإسكندرية وتلقى منه رسالة إلى القيصر ميخائيل فيدوروفيتش وفي طريق عودته إلى الوطن، جمع معلومات حول السياسة الخارجية لتركيا وبولندا ومولدوفيا، تم اعتقاله من قبل حاكم كالينوفسكي، الذي ظن أنه سفير موسكو في تركيا، تمت مصادرة جميع الأوراق والرسائل التي تم العثور عليها في حوزته ونقلها إلى وارسو إلى الملك فلاديسلاف الرابع ظل رهن الاحتجاز، وأفرج عنه بناء على رسالة بعثت بها موسكو في ١٦٣٧م عاد من كييف عبر بوتيفل، توفي في ايار ١٦٣٧م . للمزيد ينظر:

Русский биографический словарь :в 25 томах.(том 4) .М. Типография Г. Лисснера и Д. Совко , 1914, С . 53-54 .

(٤٩) ب . م . دانتسيغ ، المصدر السابق، ص ٥١ – ٥٤ .

(٥٠) المصدر نفسه، ص ٥٦ – ٥٧.

(٥١) المصدر نفسه، ص٦٢.

(٥٢) نجدة فتحي صفوة، العرب في الاتحاد السوفيتي ودراسات اخرى في العلاقات التاريخية والثقافية بين العرب والروس، بغداد، ١٩٨٤م، ص ٦٧-٧١ .

(٥٣) بطرس الأكبر: ولد في عام ١٦٩٣م، وهو أبن الكسي اصبح قيصراً لروسيا وعمره حوالي تسع سنوات (١٦٨٢-١٧٢٥م)، قام باصلاحات عديدة في جميع المجالات، واسس مدينة بطرسبورغ واتخذها عاصمة لروسيا، كما خاض حروب عديدة ضد السويد وبولندا والعثمانيين . للمزيد من التفاصيل ينظر:

The New Encyclopaedia Britannica , vol , 25 ,1986 , p . 518-519 .

(٥٤) لويس الحاج، مشكلة المضايق والعلاقات الروسية التركية، بيروت، ١٩٤٧م، ص٦؛ هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية المرحلة الأولى (١٧٧٤-١٨٥٦م)، بغداد، ١٩٩٠م، ص ٢٩ .

(٥٥) ازوف: ميناء يقع على نهر الدون قبل مصبه في بحر ازوف، سيطر عليه العثمانيين عام ١٤٧١م وحولوه الى ثكنة عسكرية، ثم سيطرت عليه روسيا . ينظر: كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاص، بغداد، ١٩٨٥م، ص١٤ .

(٥٦) عباس عبدالوهاب علي الصالح، اتجاهات السياسة الروسية نحو الدولة العثمانية في عهد القيصر بطرس الأول (١٦٨٩-١٧٢٥م)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، مجلد (١٧)، العدد (٦)، تكريت، حزيران٢٠١٠م، ص ٣٩٨-٣٩٩ .

(٥٧) كارلوفيتز: مدينة تقع في كرواتيا، وتم عقد معاهدة فيها بين روسيا والدولة العثمانية وبموجبها احتفظت الاولى بأزوف . ينظر: ب . م . دانتسيغ، المصدر السابق، ص٦٩-٧٠.

(٥٨) زهراء حميد خليل البحراني، الامتيازات الاجنبية في بلاد الشام في العهد العثماني في اواسط القرن الثامن عشر إلى قيام الحرب العالمية الأولى ١٧٥٠-١٩١٤م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة ، ٢٠٠٦م، ص ٦٢-٦٣ .

(٥٩) خيرية قاسمية، روسيا القيصرية والمشرق العربي، مجلة، دراسات تاريخية، العدد (٩-١٠)، جامعة دمشق، تشرين الأول ١٩٨٢م، ص ٤٤ .

(60) J . Lee Ste phen, peter the Great , London , 1993 , p . 24 .

(٦١) مشعل مفرح ظاهر، روسيا القيصرية في عهد بطرس الاكبر ١٦٨٩-١٧٢٥م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٦ م، ص١٤-١٥.

(٦٢) نوري السامرائي، المصدر السابق، ص١٣٤.

(٦٣) ب . م . دانتسيغ، المصدر السابق، ص ٧٨ – ٨٣ .

(٦٤) المصدر نفسه، ص ٨٧ .

(٦٥) افرام: ولد افرام سيرغيفيج نوروف في مقاطعة ساراتوف في عام ١٧٩٥م من عائلة نوروف النبيلة، وهو شخصية حكومية شارك في الحرب العالمية الثانية، عمل في الفترة (١٨٥٠-١٨٥٤م) مساعد وزير, وفي (١٨٥٤– ١٨٥٨م) وزيراً للتربية العامة، كان شخص لطيف ومتعاطف، وطموح، لكنه ضعيف، ونتيجة لذلك ظلت أهم قضايا التربية والتعليم مهملة. كتب الكثيرمن الكتب في الشعر والنثر. اشتهر بشكل خاص "برحلاته" في صقلية والأماكن المقدسة ومصر والنوبة بطرسبرغ، ١٨٥٤م، كان عضوا في أكاديمية العلوم توفي في عام ١٨٦٩م، ودُفن في كنيسة جوليتسين في سانت بطرسبرغ . للمزيد ينظر :

Большая Советская Энциклопедия; сокращённо БСЭ. О.Ю. Шмидт. Т. 1–65 . т. CCCP. M., 1926.C 484.

(٦٦) مشعل مفرح ظاهر، حركة التبشير الروسية الأرثوذكسية في القدس، مجلة كلية التربية الاساسية العدد(٧)، جامعة بابل، ايار ٢٠١٢م، ص ١٦٥ .

(٦٧) ايناس سعدي عبد الله واسامة عدنان يحيى، تاريخ روسيا الديني من الوثنية الى المسيحية، بغداد، ٢٠١٩م، ص ١٢٢ .

(٦٨) نظير زيتون، روسية في موكب التاريخ، الجزء الأول، د.م، ١٩٤٥م، ص ٢٩٠؛ علي شعيب، بطرس الأكبر قيصر روسيا، بيروت، ١٩٩٢م، ص٨٣؛ أليكساندر أ. بوغولييوف، الاصلاح الكنسي في روسيا ١٩٠٥-١٩١٨م، ترجمة: رزق الله بطرس وابراهيم سروج، طرابلس، ١٩٩٧م، ص ١ .

(٦٩) نورهان الشيخ، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية – الروسية، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٧٢ .

(٧٠) عباس خميس الزبيدي وحمدية صالح الجبوري، الاستشراق الروسي (دراسة في نشأته وتطوره التاريخي)، مجلة كلية التربية، العدد (٤٣)، الجزء الأول، جامعة القادسية، شباط ٢٠٢١م، ص ١٠٧– ١٠٩ .

(٧١) عبدالرحيم العطاوي، الاستشراق الروسي، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٦٢ .

(٧٢) سعدون محمود الساموك، الوجيز في علم الاستشراق، عمان ٢٠٠٣م، ص ٥٧ .

(٧٣) كمال الصيليبي، تاريخ لبنان الحديث ، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٢٣ .

(٧٤) مشعل مفرح ظاهر، حركة التبشير الروسية، المصدر السابق، ص ١٦٥ .

(٧٥) ب . م . دانتسيغ، المصدر السابق، ص ١٠٤ .

(٧٦) أحمد حسن عبد الجبوري، القدس الشريف في كتابات الرحالة العرب والاجانب في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، مجلة ، آداب الفراهيدي، العدد (٣)، جامعة تكريت، حزيران ٢٠١٠م، ص ٢٩٩-٣٠٠ .

(77) Simon Dixon , the modernisatan of Russia 1676–1825 , p . 111 .

(٧٨) كاترين الثانية: امبراطورة روسيا وابنة الامير الالماني كرستيان واغسطين، ولدت في عام ١٧٢٩م ، اعتنقت الديانة المسيحية الارثوذكسية قبل زواجها من القيصر الروسي بطرس الثالث عام ١٧٤٤م، تأمرت على زوجها واعلنت نفسها امبراطورة على روسيا عام ١٧٦٢م، وشرعت بخطوات اصلاحية شملت جميع الميادين، لقبها الروس بعدة القاب منها الكبيرة والعالمة. للمزيد من التفاصيل ينظر: علي جودة صبيح المالكي، روسيا القيصرية في عهد الامبراطورة كاترين الثانية (١٧٦٢–١٧٩٦م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات التاريخية، جامعة البصرة، ٢٠١٠م، ص ١٠٤؛

Maurice Ashley , Ahistory of Europe ,1848–1850 , p .107 .

(٧٩) هاشم صالح التكريتي، موجز تاريخ أوربا في القرن الثامن عشر، بغداد ، ٢٠١٧م، ص ٢٧٧ .

(٨٠) نظير زيتون، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص ١٦ – ١٧ .

(٨١) للاطلاع على تلك الوصية ينظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت، ١٩٧٧م، ص١٥٣-١٥٦ .

(٨٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، وصية بطرس الاكبر المزيفة، مجلة، العربي، العدد (٢٧٣)، الكويت،١٩٨١م، ص٥٦؛ عباس عبدالوهاب علي الصالح، المصدر السابق، ص ٣٩٨؛ نجيب عازوري ، يقظة الأمة العربية، تعريب وتقديم: أحمد بو ملحم، د.م، د.ت، ص ٨١ .

(83) Derek HoPwood ,op. cit , p . 8 .

(٨٤) معاهدة بلغراد: صلح عقد بين الدولة العثمانية وروسيا الذي انهى الحرب التي اندلعت بين البلدين بسبب مشكلة شبه جزيرة القرم وحصلت روسيا بموجبه على حق شحن بضائعها في البحر الاسود على متن السفن العثمانية، شرط عدم بنائها تحصينات في ميناء ازوف . للمزيد ينظر: عبد الرؤف سنو، العلاقات الروسية–

العثمانية سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة (٦٨٧– ١٨٧٨ م)، مجلة، تاريخ العرب والعالم العددان (٧٣–٧٤)، بيروت، ص ٣–٤ .

(٨٥) زهراء حميد خليل البحراني، المصدر السابق، ص ٦٣ .

(٨٦) خيرية قاسمية، المصدر السابق، ص ٤٥ .

(٨٧) بشير الشهابي: هو ابن الامير ملحم حيدر الشهابي، ولد عام ١٧٤٨م، واحد أمراء جبل لبنان عام ١٧٧٠م بعد تنازل عمه الامير منصور الشهابي له، في عام ١٧٨٣م تنازل عن الإمارة إلى أخيه، ثم رجع بمساعدة بعض القبائل ونتج عن ذلك قيام حرب أهلية نتيجة المطالبات بالإمارة عام ١٧٨٨م، ثم هاجم الجزار الأمير يوسف فانهزم الاخير في القتال وخسر كرسي الإمارة وعين مكانه نسيبه بشير الشهابي، توفي عام ١٧٩٠م . للمزيد ينظر: طوني فرح، موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق الاوسط ، المجلد السابع، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨–١٣٢ .

(٨٨) اتفاقية كوجك كينارجي: مدينة تقع في الجنوب الشرقي من سيلستريا في بلغاريا، وقعت فيها الاتفاقية بين روسيا والدولة العثمانية والتي بمقتضاها اعلنت ولاية القرم مستقلة، واعطت الحق لروسيا بالتدخل بالنيابة عن امارتي الافلاق والبغدان. للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت،١٩٧٧م، ص١٦٠؛ مجموعة باحثين، المصدر السابق، ص ٢٧٦٤.

(٨٩) بوتداريفسكي، الغرب ضد العالم الإسلامي من الحملات الصليبية حتى ايامنا، ترجمة: ايناس شاهين ، موسكو، ١٩٨٥م، ص ١٦٩ .

(٩٠) استخدم السلطان العثماني عبدالحميد الأول (١٧٧٣–١٧٨٩م)، لقب خليفة بعد توقيع معاهدة كوجك كينارجي، وكان اللجوء إلى هذا اللقب للإبقاء على الرابط الديني مع سكان المسلمين الذين اصبحوا تابعين للحكم الروسي للمزيد من التفاصيل ينظر: مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء العاشر، بيروت، ١٩٧٦م، ص٧؛ عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٢٦ .

(٩١) اسد رستم، كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، الجزء الثالث، د.م، ١٩٢٨م، ص ١٦٣؛ حسين أوزدمير، فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبدالحميد الثاني، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ١٦٧– ١٦٨.

(٩٢) فليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الثاني، د.م، ١٩٥٩م ، ص ٣٤٨ .

(٩٣) معاهدة ياسي: معاهدة عقدت في مدينة ياسي عام ١٧٩٢م بين روسيا والدولة العثمانية، ونصت على بنود عديدة كان اهمها تبادل الاسرى وعودة الرعايا المهاجرين الى بلدانهم الاصلية وتنازل العثمانيين عن ميناء ازوف والقرم وغيرها من المناطق، وعدم مطالبة روسيا بتعويضات الحرب . للمزيد من التفاصيل ينظر: على الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط ، د.م ، ٢٠٠١م، ص٣٢٤ .

(٩٤) مشعل مفرح ظاهر، حركة التبشير الروسية الأرثوذكسية في القدس، المصدر السابق، ص ١٦٦ .

(٩٥) كان الحجاج الروس يتباهون بحمل اشياء ترمز للقدس، وخاصة منها سعف النخيل التي لعبت دوراً رمزياً قبل عيد الصفح . ينظر: ناصر زيدان، المصدر السابق، ص ٥٥ .

(96) The Treaty of Jassy ,a January ,1792 , Cited in . S Anderson , Eastern Qustion Relevatins , London , 1974 , p2–28;

ب . م . دانتسيغ ، المصدر السابق، ص ١٣٥– ١٣٧

(٩٧) الاسكندر الأول: ابن بولص الاول الملقب بالقيصر المجنون، ولد عام ١٧٧٧م، واصبح قيصرا لروسيا عاوم ١٨٠١م، حارب نابليون عام ١٨٠٥م وسعى إلى مصالته عام ١٨٠٧م لكنه اضطر الى مقاتلته ثانيا عندما شن نابليون حملته على روسيا علام ١٨١٢م، كما نادى بأقامة التحالف المقدس بين الدول الاوربية، وكانت سياسته تتسم بالتذبذب والتناقضات ، ثم مات في ظروف غامضة عام ١٨٢٥م . للمزيد ينظر: الان بالمر، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩–١٩٤٥م، ترجمة: سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين، مراجعة: محمد مظفر الادهمي: الجزء الأول: بغداد، ١٩٩٢م، ص ٣٨–٣٩؛ عبد الوهاب الكيالي، الجزء الأول، المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .

(٩٨) يوحنا يوسف توما، الكنيسة وقضية فلسطين، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية،١٩٩٠م، ص ١٩١ .

(٩٩) ب . م . دانتسيغ، المصدر السابق، ص ١٥١ – ١٥٣ .

(١٠٠) خيرية قاسمية، المصدر السابق، ص٤٥.

(١٠١) معاهدة بوخارست: معاهدة عقدت بين الدولة العثمانية وروسيا والتي وقعت عام ١٨١٢م، ونصت على احتفاظ الدولة العثمانية بولايتي الافلاق والبغدان واستعادتها لصربيا مع بعض الامتيازات، وظفر الروس بولاية بساربيا واحد مصبات الدانوب. ينظر: علي حسون، العثمانيون والروس، د.م، ١٩٨٢م، ص٩٩ .

(102) Н. Н. Лисавой , Собр . соч .С.39.

(١٠٣) زهراء حميد خليل البحراني، المصدر السابق، ص ٦٣ .

(١٠٤) ب . م . دانتسيغ، المصدر السابق، ص٤٥ .